

الحلقة الثانية
قصص السيرة

القصص النبوية

الوحي

عبد الحميد جودة السحار

٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقرأ باسمِ ربِّكَ الَّذی خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ
عَلَقٍ ، اقرأ وربُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ
الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

(قرآن کریم)

عاش محمدٌ في بيتِ خديجةَ ؛ كان يُحبُّ زوجته ،
وكانت زوجته تُحبه .

وكان محمدٌ في ذلك الوقتِ يميلُ إلى التفكير ،
فكان يُطيل التأمُّل ، وخديجةُ تلاحظُ سُكونه ،
فتتركُه لأفكاره ، ولا تضايقه بكثرةِ حديثها ، كما
تفعلُ النساءُ مع أزواجهن . كانت خديجةُ عاقلة ،
فكانت تتركُ زوجها إلى ما تميلُ إليه نفسه .

كان محمدٌ يعودُ من الكعبة ، فيفكرُ في أمرها ،
وفي الثلاثمائةِ والستينَ صنماً التي بها ، فيعجبُ من
قومه الذين يعبدونَ حجارةً ينحتونها بأيديهم ،

حجارة لا تسمع ولا ترى ، ولا تستجيبُ لدعوة
عِبَادِهَا الَّذِينَ يَدْعُونَهَا .

اهتدى محمدٌ إلى أنَّ لهذا الكونِ إلهًا واحدًا هو
الَّذى خلقَ الشمسَ والقمرَ ، والسماءَ والأرضَ ،
والأنهارَ والجبالَ ، والإنسانَ والحيوانَ ؛ وأنَّ هذا
الإلهَ الواحدَ هو الذى يجبُ أن يتوجَّهَ إليه الناسُ فى
دعوتهم ، وهو وحده المستحقُّ للعبادة ؛ لذلك كان
يأخذُ طعامه وشرابه ، ويذهبُ إلى غارٍ حراءَ ، بعيدا
عن ضوضاء الناس ، يعبدُ اللهَ فى ليله ونهاره ،
وكان يمكثُ فى الغارِ شهرًا من كلِّ سنة .

كان يُحبُّ الخلوةَ ، ففى الخلوة اتَّصالُ الإنسانِ
بالكونِ ، وفيها يفرُّغُ القلبُ من أشغال الدنيا ،
ويصفو الذهنُ وتشرقُ أنوار المعرفة . كان محمد

يَقْضَى الشَّهْرَ فِي عِبَادَةٍ ، يُطْعَمُ مَنْ يَمُرُّ بِهِ مِنْ
الْمَسَاكِينِ ، مِنَ الْكُعْكِ وَالزَّيْتِ الَّذِي يَحْمِلُهُ مَعَهُ .
وَكَانَ إِذَا نَامَ فِي الْغَارِ ، رَأَى فِي نَوْمِهِ رُؤًى ، فَإِذَا
اسْتَيْقَظَ تَحَقَّقَتْ رُؤَاهُ ، فَقَدْ صَفَا رُوحُهُ ، وَاتَّصَلَ
بِاللَّهِ .

٢

ذَهَبَ مُحَمَّدٌ إِلَى غَارِ حِرَاءَ ، وَهُوَ فِي الْأَرْبَعِينَ مِنْ
عَمْرِهِ ، يَحْمِلُ طَعَامَهُ ، يَصُومُ النَّهَارَ يَتَعَبَّدُ ، وَيَقُومُ
الَّيْلَ يَتَهَجَّدُ . وَغَابَتِ الشَّمْسُ ، وَالتَفَّ مُحَمَّدٌ فِي
عِبَادَتِهِ ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ لِيَنَامَ قَلِيلًا ؛ كَانَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةُ
مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ هِيَ لَيْلَةُ الْقَدَرِ .

وسمع محمدٌ صوتاً يقولُ له وهو نائم :

- اقرأ .

فيقولُ محمدٌ له :

- ما أقرأ .

فيحسُّ شيئاً يضمُّه ، حتى يكادُ يكتُمُ أنفاسَه . ثم

يتزكّه ويقول :

- اقرأ .

فيقولُ محمدٌ : ما أقرأ .

فيضمُّه مرّةً ثانية ، حتى يكادُ يكتُمُ أنفاسَه ، ثم

يتزكّه ويقول :

- اقرأ .

فيقولُ محمدٌ : ما أقرأ .

فيضمُّه مرّةً ثالثة ، حتى يكادُ يكتُمُ أنفاسَه ، ثم

يقول :

— اقرأ .

فيقول محمد :

— ماذا أقرأ ؟

فيقول الملك :

— اقرأ باسم ربك الذى خلق .

خلق الإنسان من علق .

اقرأ وربك الأكرم .

الذى علم بالقلم .

علم الإنسان ما لم يعلم .

واستيقظ محمد من نومه فرعاً ، وخرج من الغار

مُهرولاً ، وإذا به يسمع صوتاً من السماء ، يقول :

— يا محمد ، أنت رسول الله ، وأنا جبريل . فرفع

محمد رأسه إلى السماء ينظر ، فإذا جبريل قدماه فى

أُفِقِ السَّمَاءَ ، يقول :

— يا محمد ، أنت رسولُ الله ، وأنا جبريل .
فوقف محمدٌ ينظرُ إليه ، فما يتقدَّمُ وما يتأخَّرُ ،
وجعل يَصْرِفُ وجهه في آفاقِ السماء ، فلا ينظر
في ناحية منها إلا رآه .

ظلَّ محمدٌ ثابتاً ، لا يتقدَّمُ ولا يتأخَّرُ ، وأرسلت
خديجةٌ تبحثُ عنه ، وهو واقفٌ في مكانه لا يتقدَّمُ
أمامه ، ولا يرجع وراءه .

رجع محمدٌ إلى خديجة ، وهو يضطرب ، فقالت

له :

- يا أبا القاسم ، أين كنت ؟ فوالله لقد بعثتُ

رُسُلِي في طلبك ، حتى بلغوا مكة ، ورجعوا لي .

فقال لها وهو يرتجف :

- زملوني . زملوني .

فراحت خديجةُ تُغطّيه ، حتى إذا هدا ، قصَّ عليها

ما رأى ، وقال لها :

- لقد خشيتُ على نفسي .

فقال له خديجةُ في إيمان :

- كلا . أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث .

وجاء جبريل إلى محمد ﷺ ، وأنزل عليه القرآن :
﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ،
وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ، وَلَا تَمْنُنْ
تَسْتَكْثِرُ ﴾ .

نام محمد ليستريح ، وخرجت خديجة إلى ورقة ابن نوفل ، وكان ابن عمها ، وقصت عليه ما رأى محمد . كان ورقة قرأ الكتب ، ودرس التوراة والإنجيل ، فقال :

- والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتني يا خديجة ، لقد جاءه الناموس الأكبر (جبريل) الذي كان يأتي موسى ، وإنه لنبي هذه الأمة ، فقول له فليثبت .

رَجَعْتُ خَدِيجَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِقَوْلِ
ورقة . وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ ، فَلَقِيَهُ
ورقة وَهُوَ يَطُوفُ ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ :

- يَا بَنَ أَخِي ، أَخْبَرْنِي بِمَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ .

فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ ورقة :

- وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنَّكَ لَنَبِيٌّ هَذِهِ الْأُمَّةُ ،

وَلَقَدْ جَاءَكَ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ ، الَّذِي جَاءَ مُوسَى ،

وَلْتُكَذِّبَنَّ وَلْتُؤْذِنَنَّ وَلْتُخْرِجَنَّ وَلْتُقَاتِلَنَّ ، لَئِنْ أَنَا

أَدْرَكْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَأَنْصُرَنَّ اللَّهَ نَصْرًا يَعْلَمُهُ .

أصبح جبريلُ يَجِيءُ إلى مُحَمَّدٍ ، يوحى إليه أوامرَ
 الله ، فأرادت خديجةُ أن تثبَّت من ذلك الذى يراه
 زوجها ، فقالت له :

- أى ابن عمٍّ ، أتستطيعُ أن تخبرنى بصاحبك هذا
 الذى يأتيك إذا جاءك ؟
 قال محمد لها :

- نعم .
 فجاء جبريلُ عليه السَّلام ، فقال رسولُ الله ﷺ
 لخديجة :

- يا خديجة ، هذا جبريلُ قد جاءنى .

فَقَالَتْ خَدِيجَةٌ :

- قُمْ يَا بَنَ عَمِّي ؛ فَاجْلِسْ عَلَى فَخِذِي الْيُسْرَى .

فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ فَجَلَسَ عَلَيْهَا وَقَالَتْ خَدِيجَةٌ :

- هَلْ تَرَاهِ ؟

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ .

- نَعَمْ .

قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةٌ :

- فَتَحَوَّلْ ، فَاجْلِسْ عَلَى فَخِذِي الْيُمْنَى .

فَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى فَخِذِهَا الْيُمْنَى ، فَقَالَتْ :

- هَلْ تَرَاهِ ؟

قَالَ :

- نَعَمْ .

قَالَتْ :

- فَتَحَوَّلْ فَاجْلِسْ فِي حِجْرِي .

فتحوّل رسولُ الله ، فجلسَ في حجرِها ، قالت :

— هل تراه ؟

قال :

— نعم .

فكشفتُ عن وجهها ورسول الله جالسٌ في

حجرِها ، ثم قالت له :

— هل تراه ؟

قال :

— لا .

قالت :

— يا بنَ عمّ ، أثبت وأبشر ، والله إنه لملك ، وما

هذا بشيطان .

ذهب محمدٌ إلى غارٍ حراءٍ ، وانتظر أن يرى
جبريل ، ولكن مرّت مدةٌ طويلة ولم يره ، فحزن
حزنا عميقا ، ظنَّ أنَّ الله تاركه ، وفيما هو في
حُزْنِه إذ سَمِعَ صوتا ينادى :

- يا محمد ، إنك رسولُ الله حقًا .

فرفع محمدٌ بصره إلى السماء ، فإذا بالملك الذي
جاءه بحراء ، قاعدٌ على كرسىٍّ في السماء ، ففرح
بعودته ، وأخذ جبريلُ يُعلِّمُه القرآن ، قال :

﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ
وَمَا قَلَى (أى ما تركك ، وما أَبْغَضَكَ منذ أَحَبَكَ)

وَلَا خِرَّةَ خَيْرٍ لَكَ مِنَ الْأُولَى ، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ
رَبُّكَ فَتَرْضَى ، أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ، وَوَجَدَكَ
ضَالًّا فَهَدَى ، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ، فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا
تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ، وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ
فَحَدِّثْ ﴿١٠﴾ .